الأنساق الاجتماعية ودورها فى مواجهة الأزمات البيئية
دراسة حالة عينة من المتضررين من السيول بمحافظة سوهاج

د. محمد حامد يوسف يوسف[١]

مقدمة :

لقد نالت قضية علاقة الانسان ببيئته المحيطة به اهتمام الكثير من الباحثين والمتخصصين فى فروع العلوم التطبيقية والانسانية والسلوكية، وتلك هى الفكرة المحورية التى انطلق منها الباحث، والتى تؤكد أن تقدم الإنسان وجهوده، وإن بدت بكل المقاييس محصلة جهده الفردى، واستعداداته ، وقدراته الشخصية، واهتماماته ، الا أنها تعد فى الواقع ناتجا نهائيا لمجموعة من العوامل والمتغيرات الخارجية بيئية كانت أو مجتمعية.

إن البيئة بمفهومها الفيزيقى، أو الاجتماعى، كانت ولاتزال هى الإطار العام، والواسع الذى يؤثر فى الإنسان ونظم حياته الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذى ترتب عليه أن جميع قضايا التنمية، تقع كلها داخل الإطار الأوسع الذى حددته - ولاتزال - قضية العلاقة بين الإنسان والبيئة. ولقد سجل تاريخ الجنس البشرى إلى مدى كانت نوعية هذه العلاقة، بل وهناك حقيقة مهمة مؤداها: ان مقياس تقدم الشعوب ورفاهيتها وسيطرتها على غيرها، قد ترجم إلى تساؤلات تدور حول قدرتها على السيطرة على البيئة، وفهم قوانينها، واستغلال مواردها، وتوجيهها فى مسارات تخدم أهدافها وسياستها.(٣: ص٢٢٥)

إن المتتبع لمسيرة البحث العلمى، والاجتهاد الفكرى فى هذا المجال يجد فى البداية مايسمى بالنظرية الحتمية الجغرافية، أو البيئية، والتى أكد أصحابها أن الانسان تسيطر عليه قوى البيئة، بل وبالغت فى تقديرها لتأثير البيئة على الإنسان، إلى الحد الذى فسرت فيه

---

(١) مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب بسوهاج

طبائع الناس وأمزجتهم، وأنماط شخصياتهم، وأخلاقهم واستعدادهم فى ضوء عوامل بيئية بحته، بل واعتبرت أن الانسان ابن البيئة ونتاجها فى كل جوانب حياته.

وعلى طرف النقيض من الحتمية الجغرافية، هناك النظرية الحتمية الثقافية والتى تؤكد- بإمكانية - الدور الفعال الذى يقوم به الإنسان فى تفاعله مع البيئة، وما لحقها من تغيير وتعديل نتيجة ما أحرزه من تقدم ثقافى وتكنولوجى. وبين هاتين النظريتين ظهرت بلورة جديدة لتقييم علاقة الإنسان بالبيئة، وهى النظرية التوافقية، ومؤداها أنه لايوجد حتمية مطلقة، ولا إمكانية مطلق، بل هناك العديد من الاحتمالات التى تقوم فى بعض الهيئات لكى يتعاظم تأثير الجانب البيئى على نشاطات الإنسان وقدراته، والتى تقوم فى بيئات أخرى لتدعيم دور الإنسان المتطور فى مواجهة تحديات البيئة. وهذا يعنى أن الإنسان لامفر له من تأثير البيئة عليه، بل فى كثير من الأحيان ما يواجه الإنسان بعض المشكلات الخطيرة، والتى يمكن أن ترجع فى جزء منها إلى ظاهرة تفاعل غير سوى بين الإنسان، ومقومات البيئة التى تحيط به.

إن المتتبع لتاريخ البشرية يجد أنها كانت دائما تحت تهديد الكوارث الطبيعية كالتصحر، الزلازل، والبراكين، والسيول، والأعاصير والفيضانات، والأنهار الجليدية، والتى تركت آثارا سلبية على الفرد والمجتمع، حيث فقد كثير من الأفراد، بالإضافة إلى الأضرار بالممتلكات، وانتشار الأمراض، واهتزاز حالة الاستقرار المادى والاقتصادى.. إلخ الأمر الذى يتطلب تدخل المؤسسات القائمة فى المجتمع سواء أكانت حكومية، أو أهلية، باعتبارها أنساقا اجتماعية، لمواجهة هذه الكوارث والآثار المترتبة عليها.

وبالتطبيق على المجتمع المصرى يتضح أنه شهد خلال العشرين عاما الأخيرة مجموعة من مخاطر البيئة الطبيعية، يعرض الباحث لبعضها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) فى عام ١٩٧٥ : تعرضت منطقة وادى العريش لسيول ذات جريان سيلى قوى ولقد أدت قوة تأثيرها إلى غرق (١٧) بدويا، وترشيد (١٠٥) أسرة، وهدم حوالى

(٢٠٠) منزل. وفى عام ١٩٨٠ ارتفعت المياه فى الوادى حوالى (٣) أمتار. واستمرت السيول لمدة (٤٨) ساعة. أدت الى تشريد (١٠٠٠) مواطن. وتدمير الطرق، فضلا عن انهيار (٢٠) منزلا، وتلف المزارع وغرق عدة أشخاص.

(٢) فى عامى ١٩٧٥، ١٩٧٩ : تعرضت محافظات بنى سويف ، المنيا، أسيوط، سوهاج، وقنا. إلى سيول ذات قوة جريان عالية، ارتفع منسوبها الى ٥٠ سم، أدت فى عام ١٩٧٥ إلى تلف المزروعات، والإشاءات، وأغرقت فى بنى سويف فقط (٥٠٠) منزل، ومبانى (١٢) قرية فى مركز إهناسيا. وفى عام ١٩٧٩ أغرقت السيول (١٨) شخصا فى محافظة سوهاج، و (١٩) شخصا فى محافظة البحر الأحمر، وأتلف (١٠،٠٠٠) فدا، وتسببت فى نفوق ما يقرب من (٥٠٠) رأس من الماشية، واتلاف (١٠٠٠) بالة قطن ،وتشريد (٨٨٤١) شخصا بسوهاج، وهدم (١٣١١) منزلا بمحافظة البحر الأحمر، و(١٥٧٦) منزلا بسوهاج، وتدمير (٣٢٠) منزلا بالقصير، واستمرت هذه السيول (٤) أربعة أيام.

(٢) تعرضت مناطق وادى سدر، ومدينة أسوا، ومركز كوم امبو، وادفو والبحر الأحمر إلى سيول جارفة، فى عام ١٩٧٩، ١٩٨٨ أدت إلى وفاة (٦) أشخاص، وتعطيل القطارات بين الأقصر وأسوان وتوقف السيارات السياحية، كما أدت إلى إنهيار (٥٠٠) منزل ، وتوفى تحت أنقاضها (٣) أطفال، وتصدعت المنازل وتشردت (٢٠٠) أسرة، وقطعت الطرق وخطوط السكك الحديدية حيث دفعت قوة السيول كتلا صخرية عديدة إلى هذه الطرق.

(٤) تسببت سيول ١٩٨٠ فى عزل مدينة إدفوا عن العمران.

(٥) تعرضت مناطق وادى وتير، والاسماعيلية ومحافظة الشرقية والسويس إلى السيول فى عام ١٩٨١، وأدت الى تلف (٦٠٠) منزل وفى عام ١٩٨٨ أدت السيول إلى تدمير الطريق المار بوادى الوتير.

(٦) فى عام ١٩٨٢ أدت السيول التى اجتاحت قرى مركز الصف بجنوب الجيزة الى تدمير (١٨٠) منزلا فى قرية القبابات، وتلف بعض المزارع، ونفوق الماشية، وبلغ عدد منكوبى السيول حوالى (١٥٠٠) مواطن. (٧:ص ٦١)

(٧) فى عامى ١٩٨٧، ١٩٩٠ أدى جريان السيول الى هدم وتخريب أجزاء واسعة من الطرق بمحافظة جنوب سيناء.

(٨) فى عام ١٩٨٨ تسببت السيول التى بلغ منسوبها بين ٣- ٣.٦٠ متر، فى تدمير الطريق الممتد من نويبع إلى طابا.

(٩) فى ٢١ مارس ١٩٩١ اجتاحت سيول جارفة ومدمرة محافظة جنوب سيناء نتيجة العواصف الممطرة فوق هضبتى التيه والعجمة، فدمرت بعض المنشآت الحيوية وأهمها الطريق الأسفلتى بوادى فيران، حيث تم تدميره بالكامل من واحة فيران وحتى سهل البقاع.

(١٠) فى ٣، ٤ ديسمبر ١٩٩٠ تعرضت هضبة التيه بجنوب سيناء، إلى سيول جارفة استمر تدفقها من هدار غرندل لمدة (٥) ساعات وبارتفاع متر واحد، وبسرعة ١٠كم/ ساعة، قدرت كمية المياه التى ذهبت الى خليج السويس حوالى (٥.١) مليون متر مكعب من المياه العذبة، ودمرت الطريق الأسفلتى عند الكيلو (٨) من أبوزنيمة، وأتلفت خط أنابيب المياه العذبة بالمنطقة وكذلك أتلفت المنشآت الحيوية والبترولية. (٧: ص٣٧)

(١١) فى ديسمبر ١٩٩١ أدت أحداث السيول بالاسكندرية، وادكو، والتى اشتدت فى زاوية عبد القادر الى العديد من الخسائر الجسيمة فى الأرواح والممتلكات والانشاءات، وهددت بغرق المنشآت البرتولية وآلاف الأفدنة والعديد من مناطق الاسكندرية.

(١٢) فى أكتوبر ١٩٩٢ حدث زلزال مدمر، لم يشهده المجتمع المصرى من قبل أدى إلى خسائر فادحة فى الأرواح والمنشآت.

(١٣) فى نوفمبر عام ١٩٩٤، وأوائل عام ١٩٩٥ تعرضت محافظات أسيوط وسوهاج والمنيا وقنا وأسوان إلى سيول جارفة دمرت العديد من القرى، وكان أخطرها ما حدث فى منطقة (درنكة) بأسيوط.

وإن دل ما سبق على شئ فإنما يدل على أن أكثر الكوارث الطبيعية شيوعا فى مصر إنحصرت فى السيول، وكان أخطرها ما حدث فى نوفمبر ١٩٩٤ والذى دمر العديد من القرى والتى أصبحت أثرا بعد عين. بالإضافة إلى العديد من الخسائر والتلفيات الأخرى، وكانت محافظات صعيد مصر هى أكثر محافظات الجمهورية تضررا من هذه السيول، خاصة محافظتى سوهاج، وأسيوط، ثم قنا والمنيا وأسوان. الأمر الذى تطلب التدخل الفورى لجميع التنظيمات والهيئات للتعامل مع ما تسببت فيه تلك السيول، وما سيحدث منها مستقبلا – وهو أمر متوقع الحدوث– ويعد فى الوقت نفسه تأكيدا على أن العلاقة بين قضايا ومشكلات المجتمع، والبيئة الطبيعية علاقة أزلية أبدية، لامفر منها، واعتاد الإنسان عليها وعلى وجود التوازن الدائم بينهما. أما إذا أسفرت هذه العلاقة عن خلل فى هذا التوازن كان لابد من وقفة لبحث وتحليل أسباب هذا الخلل، وتعديله، أى حين يعتدى أحدهما على الآخر، أى اعتداء الانسان على الطبيعة، أو اعتداء الطبيعة على الإنسان، وفى كلتا الحالتين يتمخض هذا الاعتداء عن مشكلة تصب فى النهاية على الكائن الانسانى.

فالإنسان يستطيع أن يفرض سيطرته على الطبيعة فى حدود امكانياته المحدودة، وأيضا فى حدود مدى قبول الطبيعة لهذه السيطرة، كما أن الطبيعة تستطيع أن تفرض سيطرتها على الانسان، وتجعله يتكيف معها فى حدود قبوله أيضا لهذا التكيف.

وبمعنى أكثر وضوحا إن الباحث يتصور العلاقة بين فيضان النهر، والمجتمع، فالفيضان يحمل فى طياته الخير والخطر، وهذا ما يدركه الإنسان، ولهذا نجد الإنسان فى استثماره للخير يشق الترع والقنوات، ولدفعه الخطر يبنى الجسور والخزانات، ولكى يبقى على حياته

من الخطر ويستفيد من الخير، كثيرا ما يحدد اقامته المعيشية على المرتفعات التى تقيه خطر الفيضانات.

وفى حالة الأزمات التى يسببها الفيضان يقف المجتمع بكل أنساقه دفعا للضرر، ومساعدته بعضه البعض لتلافيه، وقياسا على ذلك بالنسبة للكوارث الطبيعية أيا كانت فالإنسان هو محورها.

من هنا لابد من ظهور فاعلية الأنساق الاجتماعية مع الأزمات البيئية، حيث أن هذه الفاعلية مطلب أساسى فى وجود الانسان، والمحافظة على جنسه، وهذا يعنى أن طبيعة الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى يدور فى فلك محاور ثلاثة: الكائن الإنسانى، والبيئة الطبيعية، والأنساق الاجتماعية، تربطها جميعا علاقات لامفر منها، فالانسان يؤثر ويتأثر بالبيئة الطبيعية – علاقة تأثير متبادلة– والأنساق الاجتماعية تؤثر فى الاثنين وتحتويهما، ويوضح الشكل رقم(١) اتجاهات هذه العلاقة:

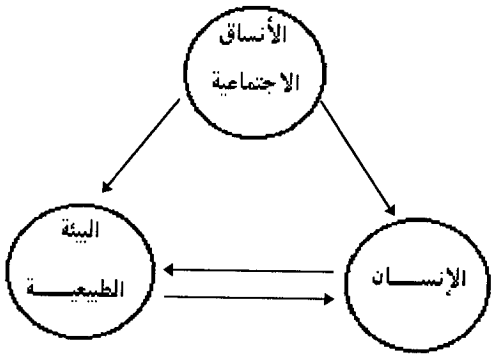

شكل رقم (١)

وبناء على ما سبق يبدوا التساؤل الذى فرض نفسه إبان كارثة السيول والذى مؤداه: ماذا عن الأنساق الاجتماعية فى مواجهة أزمات البيئة الطبيعية؟ وهذا هو مضمون مشكلة البحث.

مشكلة البحث:

من خلال الشواهد الاستطلاعية للباحث فى المناطق التى تعرضت للسيول فى نوفمبر ١٩٩٤، داخل نطاق مراكز وقرى محافظة سوهاج، ورأى كيف يعيش المتضررون من السيول داخل خيام معسكرات الإيواء، تبلورت فى ذهنة مشكلة البحث، ومؤداها: أن غثاء السيل كا أشد ضررا من السيل نفسه، ومن هنا كان لابد من الوصول إلى تحليل وتفسير أسباب هذه المشكلة، ونتائجها وموقف التنظيمات الاجتماعية، باعتبارها أنساقا اجتماعية فرعية، فى مواجهة كارثة السيول التى حدثت، والكشف السوسيولوجى عن الدور الفعلى لهذه التنظيمات فى مجال كارثة السيول، وتحدد هذا المجال بمحافظة سوهاج.

مبررات البحث:

(١) الجدة التى تميزت بها كارثة السيول كأزمة بيئية مفاجئة للمجتمع المصرى، وما ترتب على حدوثها من ردود فعل تفاعلت ديناميا داخل النسق الاجتماعى، الأمر الذى تطلب حتمية كشفها والتعرف على خصائصها(*).

(٢) إن الأهمية المجتمعية والعلمية لمشكلة البحث تبدو لأول وهلة فى تكرارها، خاصة فى مجال محافظة سوهاج، ومن ثم اصبحت تمثل خطرا يهدد هذه المحافظة ومن أمثلة هذه السيول على سبيل المثال: سيول شهر فبراير ١٩٧٥، وأكتوبر ١٩٨٠، وديسمبر ١٩٨٠ ويناير ١٩٩٣، إلا أن أخطر هذه السيول هو ما حدث فى نوفمبر ١٩٩٤

(*) فى حدود المسح المكتبى للأبحاث الميدانية التى تناولت كارثة السيول فى مصر، لم يجد الباحث مثل هذه الأبحاث السابقة فى هذا المجال، وكل ما وجده دراستان تناولتا كارثة الزلزال الذى حدث فى أكتوبر ١٩٩٢، اطلع عليهما الباحث، واستفاد منهما فى حدود ما يخص بحثه (٨، ١٧)، والباحث يرى أن المبرر فى ذلك هو ندرة ظاهرة الكوارث الكبرى فى مصر، وهو مالايشجع الكثير من الباحثين على وضعها فى دائرة الاهتمام.

حيث كانت خسائره فى كل الجوانب وأشد ضراوة، وبنظرة متأنيــة لهـذا التتـابع نجـد أننا أمام مشكلة الموقف، وهو موقف مواجهة الأزمة وتكرارها .

(٣) إن بعض الأسر المضارة والتى أجريت عليها دراسة الحالة لهم أبناء فـى مرحلـة التعليـم الجامعى، بفرع الجامعـة بسـوهاج يقـول البـاحث بـالتدريس لهـم، ولمـس المعانـاة، بـل والتشرد مما شاهدة عليهم وسمعه منهم، الأمر الذى دفع به إلى محاولـة سـبر غـور مثـل هذه المشكلة، وفى نفس الوقت تحمل هؤلاء الطلاب مسئولية تسـهيل مهمـة البـاحث مع أفراد العينة .

(٤) يرجع الدافع العلمى لهذا البحث، وما يفرضه من تـأمل وتسـاؤلات، هـو موقـع عمـل الباحث فى نفس المجال الجغرافى الذى حدثت فيه كارثة السيول، مما سهل عليه تكرار الزيارات الاسـتطلاعية للمواقـع التـى أضـيرت مـن السـيول، والتـى يقيـم أهلهـا فـى مخيمات الإيواء المنتشرة على مسـتوى محافظـة سـوهاج، ولعـل هـذه الزيـارات كـانت الحافز الأول لبلورة الأفكار وتحديد محاور البحث .

(٥) الكشف عن الدور الفعلـى لنسـق التنظيمـات الاجتماعيـة الرسميـة وغـير الرسميـة فـى مواجهة آثار السيول التى تعرضت لها منطقة البحـث . . وبعـد المرحلـة الاسـتطلاعية للباحث وشواهده لآثار السيول، وهو ما تحدد ملامحه فى المتضررين من سكان الخيام . وما آلت إليه حياتهم اليومية من تغير متدنى، الأمر الذى أملى ضـرورة تحديـد هـدف البحث وأهميته .

هدف البحث وأهميته:

من المنطلقات السابقة يمكن تحديد ملامح هدف البحث وأهميته فى النقاط الأتية:

(١) محاولة التعرف على الآثار الاجتماعية والاقتصادية للسيول على المتضررين منها .

(٢) توفير بعض البيانات لدى المسئولين، والمخططين بمختلف التنظيمات الاجتماعية بحيث توضع الخطط المستقبلية فى مواجهة هذا النمط من الأزمات والكوارث الطبيعية بطريقة أكثر إيجابية وأشد فاعلية.

(٣) تقديم اطار أبيستمولوجى Epistmology لإدارة ومواجهة الكوارث البيئية، وهو ما يطلق عليه إدارة الأزمات.

محاور البحث:

بعد أن حدد الباحث مشكلة بحثه، ومبررات اختياره، وهدف البحث وأهميته، أصبح من الضرورى أن يحدد منطلقات محاوره التى يمكن من خلالها الكشف عن تفسير المشكلة وأبعادها، وهذه المحاور تتمثل فى النقاط الآتية:

١- الخصائص الاجتماعية لعينة المتضررين من السيول.

٢- الآثار التى ترتبت على أزمة السيول بالنسبة لأفراد العينة.

٣- دور الأنساق الاجتماعية كالصحة والإسكان، والشئون الاجتماعية، وإدارات الحكم المحلى والدفاع المدنى، والقوات المسلحة، والأحزاب السياسية .. إلخ. باعتبارها أنساقا فرعية، فى مواجهة كارثة السيول.

٤- مدى قدرة هذه الأنساق على مواجهة كارثة السيول فى ضوء البنائية الوظيفية.

٥- التصورات المستقبلية لدور هذه الأنساق لمواجهة مثل هذه الأزمات فى ضوء ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية.

منهج البحث وأدواته :

فى الواقع أن مناهج البحث وأدواته متعددة الأشكال بما يتلاءم مع ظروف كل بحث وأهدافه، وبقدر ما يدرك الباحث هذه الحقيقة، فإنه يرى أن المجال المباشر لمنهجه هو المسح الاجتماعى، حين قام بتطبيق بحثه على كل المتضررين من السيول والمقيمين فى خيام معسكر "نجع العزبة" التابع لمركز دار السلام، أحد مراكز محافظة سوهاج، وكانت أداته دليل دراسة

الحالة، كأداة فعالة فى مثل هذه البحوث، للوقوف على تفسيرات أكثر عمقا للمشكلة، والذى تضمن ثمانية بنود محددة تدور حول مشكلة البحث وأهدافه.

ولتوثيق هذه البنود استعان الباحث بالتسجيل الصوتى، كأداة مساعدة لجمع بياناته، خاصة تسجيل العبارات التى تعبر عن الاتجاهات الشخصية لأفراد العينة، وهو الأمر الذى كان يرجع له الباحث فى تحليل مضمون هذه العبارات التى تكشف عن ميول، وآراء، واتجاهات عينة البحث حول مشكلاتهم اليومية والعقبات التى يواجهونها، ودور التنظيمات والمنظمات الاجتماعية فى مواجهتها، باعتبارها أنساقا فرعية، فى التعامل مع كارثة السيول، سواء ما تعلق بهذا الدور قبل، أو بعد الكارثة، واستفاد الباحث كثيرا من استخدامه لأسلوب تحليل المضمون، نظرا لما يتسم به من مميزات (١٠ : ص٢٧١، ١١: ص٤٠٦ ، ١٦: ص ٢٢٥). هذا بالإضافة إلى الاستعانة بالملاحظة البسيطة، والمقابلة كأدوات للبحث.

مجالات البحث :

أ – المجال المكانى:

على الرغم من كثرة المخيمات التى أقامتها العديد من الجهات : (القوات المسلحة، الهلال الأحمر، هيئة كير والشئون الاجتماعية) وكونت بذلك مجموعة من معسكرات الإيواء على مستوى جميع مراكز محافظة سوهاج، إلا أن معسكر (نجع العزبة) التابع لمركز دار السلام، والذى أقامتهالقوات المسلحة قد احتل المركز الأول فى احتوائه لإجمال الأسر المقيمة به على مستوى معسكرات المحافظة(*). حيث يقيم به (١٧٥) أسرة نووية ومركبة

(*) من هذه المعسكرات على سبيل المثال لا الحصر : معسكرات : أولاد يحيى الحاجر، الكرنك، نجع عمار، أولاد بكر، نجع الجبل (مركز دار السلام) ، وحاجر مشطا، ونزلة عمارة (مركز طهطا)، والرياينة الحاجر، الجلاوية، نجع عطية، الوحدة الصحية بالحاجر (مركز ساقلته)، والكوامل قبلى (مركز المنشاه).. الخ.

متضررة من السيول. وهم أكثر المتضررين من السيول على مستوى المحافظة حسب بيانات محافظة سوهاج فى يناير ١٩٩٥. الأمر الذى دفع بالباحث إلى اختيار هذا المعسكر كمجال مكانى للبحث. والذى يبعد ذهابا عن مدينة سوهاج من ناحية الجنوب بحوالى (٦٠) كم. منها (١٠) كم من مدينة دار السلام حتى مقر المعسكر. وهذا الطريق تسوده صعوبات التنقل. وغير مرصوف. مما شكل صعوبة أمام الباحث طوال فترة جمع البيانات.

ب – المجال الزمنى:

لاشك أن المجال الزمنى هو المعبر عن الفترة التاريخية للواقعة بآثارها، وتأثيرها. ومن هنا فقد تحددت فترة جمع البيانات البحث من ١٩٩٥/٣/١٥ الى ١٩٩٥/٥/١٤، والملاحظ أن فترة إجراء البحث تمت بعد مرور ستة أشهر من حدوث السيول، وهى فترة يمكن أن تتحدد فيها ملامح الاثار التى تركتها السيول ودور الانساق الاجتماعية تجاهها.

جـ– المجال البشرى:

أجرى البحث على (١٦٢) رب أسرة. تشمل نوعى الأسرة : النووية وعددها (١٤٦) أسرة، والمركبة وعددها (١٤) أسرة. وجميعها متضررة من السيول، وتقيم فى خيام معسكر "نجع العزبة" التابع لمركز دار السلام بمحافظة سوهاج(*).

مفاهيم البحث :

النسق :

يعرف النسق بأنه " مجموعة من الأجزاء المختلفة المرتابطة بعضها ببعض بأسلوب مباشر أو غير مباشر يسمح بالتأثير المتبادل، كما أن كل جزء من أجزاس النسق يتكامل ويتساند

(*) يقيم فى هذا المعسكر (١٧٥) أسرة، كان من المستحيل على الباحث مقابلة (٨) سيدات أرامل هن ارباب أسرهن. نظرا لعادات وتقاليد مجتمع البحث، بالإضافة الى تغيب (٥) رجال من أرباب الأسر حيث أنهم فى حالة ترحال مستمرة، وبالتالى تحدد إجمالى أرباب الأسر الذين كانوا شبه مستقرين فى المعسكر حوالى (١٦٢) رب أسرة، هم عينة البحث.

مع غيره من الأجزاء الأخرى، ويوجد النسق فى توازن دينامى مستمر وحراك دائم سواء داخل النسق أو مع بيئته الخارجية" (١٣: ص ٨٤).

ويتكون النسق من شبكة من العلاقات المتبادلة بين الجماعات والأفراد تتضمن ثلاثة عناصر أساسية هى : الفعل كوحدة اساسية فى النسق، ثم الفاعل، وأخيرا مكانة الفاعل داخل النسق وما يقوم به من أدوار، ويتصف أى نسق بخاصيتين هما التوازن والتكامل. (٩ص :٢٠٣)، (٢: ص١٢١).

ويرى " أحمد الخشاب" أن النسق أشبه ما يكون بالكائن العضوى، ولايمكن فهم أى عنصر من هذا النسق إلا فى صلاته، وارتباطاتهوعلاقاته بالعناصر الأخرى وبالكل نفسه (١: ص٦٥٥).

ويقصد الباحث بمفهوم الأنساق الاجتماعية أنها تلك النظم أو المنظمات أو التنظيمات الاجتماعية ذات العلاقات المتساندة، والمتبادلة بما بينها على اعتبار أى نسق كل وظيفى متكامل، هذه المنظمات أو التنظيمات الاجتماعية تؤدى أدوارا لبقاء البناء الاجتماعى، وتعتبر المناطق المتضررة من السيول، أبنية اجتماعية تصدعت بل ودمرت فى أكثر من جانب، ومن هنا كان لابد من كشف دور الأنساق الاجتماعية فى مواجهة أو إعادة التوازن الى البناء الاجتماعى لهذه المناطق، من منطلق أن التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية أنساق فرعية تتكون من أدوار ذات حدود معروفة تسعى لتحقيق أهداف عامة ومستقرة نسبيا، بل وتمثل الإطار المؤسسى العام الذى يتركب من مجموعة المراكز ذات السلطات والمسئوليات التنظيمية المحددة، والتى تتضح فيها خطوط الاتصال، واتجاهات العلاقات بين الأفراد شاغلى تلك المراكز، ويتخذ نسق التنظيمات الاجتماعية عادة ذلك الشكل الهرمى المألوف بعدد قليل من المراكز فى المستويات الأعلى، تتزايد مع التدرج الى أدنى حتى تصل الى قاعدة الهرم.

ويتدرج تحت هذا النسق العديد من المؤسسات الاجتماعية التى تمارس أدوارا تثرى الحياة بصفة عامة، وفى نفس الوقت تواجه التهديدات وأساليب الوقاية منها فى مواقف الأزمات الاجتماعية والبيئية.

ومن منطلق مفهوم النسق، ووفق طبيعة التعامل مع الأزمات البيئية، فالأمر يقتضى فى معظم الحالات نشاطات متعددة ومتنوعة من مؤسسات عديدة تستوجب خروجا على الأنماط التنظيمية المألوفة ، لأن مجابهة أزمات البيئة الاجتماعية والطبيعية تقوم على أساس أنها متخللة، وحادثة بين إدارات حكومية متعددة وبين قطاعات مختلفة. وبين مجموعة من التنظيمات، ومن الطبيعى أن ينتج من كل هذا التداخل والتمازج تشابكا، وتكوينا مركبا فى العلاقات التنظيمية على المستوى الأفقى والرأسى، ولابد من دمج وتوحيد وتحقيق التكامل فى تنفيذ السياسات والخطط والبرامج الهادفة لدرء أو الحد من آثار السيول.

وللتحقق من مدى هذا التكامل والتساند فقد اعتمد الباحث على النظرية البنائية الوظيفية فى تفسيره لبيانات بحثه، ويرجع ذلك الى نظرة اصحاب هذه النظرية تجاه التنظيم الاجتماعى على أساس أنه نسق مفتوح يتفاعل مع البيئة باستمرار سواء كانت بيئة اجتماعية أو طبيعية باعتبارها مصدرا للمشكلات وبوصفها مصدرا للموارد التى يستعين بها التنظيم فى أدائه وظائفه (٢٣ : ص٢٣) . أى أن الوظيفة تنظر الى المجتمع باعتباره نسقا اجتماعيا يؤدى دوره فى ضوء معنى، وهدف بالذات ، أى أنها تبحث عن الدور الذى تلعبه الظواهر المختلفة، والمؤسسات المتعددة فى تأكيد وتدعيم النظام الاجتماعى الكلى، ومدى تكامل عناصر النسق الاجتماعى (١٨ : ص٣٣٩) أما عن الأداة التصورية التى تستعين بها هذه النظرية فى دراسة التنظيم فهى التوازن الدينامى للأنساق، هذا التوازن الذى يواجه التهديدات التى يتعرض لها البناء الاجتماعى، كما تهتم هذه النظرية بضرورة الاعتماد المتبادل بين الأنساق الاجتماعية، وهذا التبادل والتساند تبدو فعاليته على المواقف

الاجتماعية التى تتمثل وحدتها وبين المواقف البيئية التى تحافظ على كيان هـذه الأنسـاق أو تهددها .

وفى ضوء مفهوم البنائية الوظيفية أراد الباحث أن يكشف مدى التكـامل، والتسـاند، والتوازن بـين التنظيمـات الاجتماعيـة الرسمية وغـير الرسمية - باعتبارهـا أنسـاقا فرعيـة - ودورها فى مواجهة كارثة السيول التى تعرضت لها منطقة البحث بمحافظة سوهاج .

الأزمة البيئية : Environment Crisis

يعرف "روبرت بيبر" R. Bieber الأزمة بأنه "نقطة تحول فى أوضاع غير مستقرة ، ويمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوبة إذا كانت الأطراف المعنية غير مستعدة، أو غير قـادرة على احتوائها ودرء خطرها" .(٢٠ : ٧٢)

وفى نفس الوقت يشير هذا المصطلح عند جرين Greene إلى "التغير المفـاجئ" حـاد الأثر الذى يحدث بسبب تغيرات متصلة فى القـوى، ويكـون مـن نتائجهـا انهيـار التـوازن" (٢١: ص١٢٣)، أو هى "التغير المفاجئ لمصدر الخطر" (٥ : ص١٦)، أو هى تلك المشـكلة التى يشعر الانسان تجاهها بالانفعال، والضغط الشديد، ويشعر بأنها تشكل تهديـدا لحياتـه، أو لأمته أو لاهدافه الأساسية وآمالـه. (٢٢ :١٢٩) . وأن للأزمـة مجموعـة خصـائص مـن أهمها ما يلى:

١- إنها نقطة تحول أساسية فى أحداث متتابعة ومتسارعة .

٢- إنها تسبب فى بدايتها صدمة ودرجة عالية من التوتر مما يضعف امكانات الفعل المؤثـر والسريع لمجابهتها .

٣- إن تصاعدها المفاجئ يؤدى إلى درجات عالية من الشك فى البدائـل المطروحـة لمجابهـة الأحداث المتسارعة نظرا لأن ذلك يتم تحت ضغط نفسى عال وفى ظل ندرة أو نقـص فى المعلومات والإمكانات .

٤- إن مجابهتها تمثل واجبا مصيريا، وكثيرا ما تمثل تحديا لولاة الأمر فى البلد المنكوب .

٥- تستوجب مواجهتها خروجا على الأنماط التنظيمية المألوفة، وابتكار نظم أو نشاطات تمكن من استيعاب ومواجهة الظروف الجديدة المترتبة على التغيرات الفجائية.

٦- تتطلب مجابهتها درجة عالية من التحكم فى الطاقات والإمكانات، وحسن توظيفها فى إطار مناخ تنظيمى يتسم بدرجة عالية من الاتصالات الفعالة، التى تؤمن التنسيق والفهم الموحد بين الأطراف ذات العلاقة.

٧- للتصدى لها لابد من إعادة النظر فى وسائل التنبؤ بها، وما يتصل بذلك من تقنيات واحتياطات. (٥ : ص ١٨)

أنواع الأزمات :

تصنف الأزمات طبقا لمجموعة من المعايير أهمها ما يلى:

١- من حيث نوع الأزمة:

أ - أزمة مادية كانهيار منزل.

ب- أزمة معنوية كالأزمات النفسية والاجتماعية ، وعلى سبيل المثال الطلاق.

٢- من حيث إمكان توقع حدوث الأزمة:

أ - أزمة يمكن توقعها، وهى جزء من دور حياة الإنسان، مثل التقاعد، والولادة، والذهاب إلى المدرسة لأول مرة.

ب- أزمة غير متوقعة وتحدث فجأت ويصعب التنبؤ بها كالأزمات القلبية، وفقدان شخص عزيز، السيول، الزلازل، البراكين، الخسارة المالية المفاجئة.

٣- من حيث عدد الأفراد المتأثرين بها:

أ - أزمة فردية كالأزمة الصحية والمالية.

ب- أزمة جماعية كوقوع عمارة أو منزل.

جـ- أزمة مجتمعية كالسيول والفيضانات.

٤- من حيث موضوع الأزمة:

أ - أزمة صحية.

ب- أزمة سياسية .

جـ- أزمة نفسية.

د - أزمة مالية.

هـ - أزمة بيئية.

وفى علم الاجتماع تعنى الأزمة توقف للأحداث المنتظمة والمتوقعة، واضطراب العادات والعرف، مما يستلزم التغير السريع لإعادة التوازن، ولتكوين عادات جديدة أكثر ملاءمة (١٢: ص١٠). وأضيف لها "بيئية" نظرا لأن العوامل البيئية هى التى تسببت فى حدوثها، ويقصد الباحث بها البيئة الطبيعية. إن السيول التى تعرضت لها فجأة محافظة سوهاج والتى حدثت فى نوفمبر ١٩٩٤، على الرغم من كونها ظواهر طبيعية الا أنها تندرج تحت مسمى أزمة بيئية، لأن التفسير لما حدث كأزمة بيئية لايرجع الى كثافة الظاهرة فى حد ذاتها فقط، بقدر ما يشير الى الحجم الكبير للتلف والخسارة المادية التى تسببت فيها بالاضافة الى فقدان الحياة، وعلى الرغم من كون ما حدث يندرج تحت مسمى "كارثة" إلا أن الباحث فضل استخدام "أزمة" نظرا لما سببته من تأزم فى موقف ودور العديد من الأنساق الاجتماعية، بل وكشفت عما يطلق عليه "أزمة إدارة الأزمات"، فى اللحظة التى يتقارب فيها معنى "أزمة"و "كارثة" إلا أن الثانية أشد خطورة.

والباحث هنا لايبحث عن تفسير أسباب السيول التى حدثت، أى عن الظروف الطبيعية التى ارتبطت بها والعوامل الأخرى التى ساهمت فى شدتها، والتى تعتبر من صنع الإنسان كالبناء فى مجرى السيول، وعدم تحديد مخرات لها، والاستفادة منها.. الخ، مع التعلمم بأن هذا التفسير ليس ببعيد كل البعد عن دارسى المجتمع، بل ان لهم دورا كبيرا، وعليهم واجب فى هذا الشأن، وهو تفسير دور الإنسان والمجتمع بسلطاته الرسمية، وعلى

مدى حقب وفترات زمنية عديدة فى التفاعل مع البيئة إيجابا وسلبا، تحكما وإفسادا ولكن الباحث يبحث فى الآثار الاجتماعية والاقتصادية التى تركتها هذه الكارثة، وأوجدت أوضاعا مأساوية لم تكن فى الحسبان، فما هى هذه الأوضاع؟

أضرار السيول فى محافظة سوهاج (*):

لقد تسببت السيول التى تعرضت لها محافظة سوهاج، والتى حدثت فى نوفمبر ١٩٩٤ إلى خسائر جسيمة فى كل المجالات، سيعرض لها الباحث باختصار شديد :

فى المجال الاقتصادى:

أولا : الزراعات التى أضيرت على مستوى المحافظة ٦٣٠٤ فدان ، ١٩ قيراطا.

ثانيا : الحاصلات التى أتلفت بعد الحصاد بيانها كالتالى:

١- مسطحات ذرة شامى ٥٠ فدان و ١٦ قيراط.

٢- مسطحات ذرة رفيعة ٣٣ فدان و ١٢ قيراط

٣- تبن بالحمل عدد ١٨٣ حملا

٤- بلح بالطن عدد ٥٠ طن

ثالثا : الحاصلات التى أتلفت بأرض طرح النهر ١٣ قيراط و ١٤ سهم.

رابعا : مساحات القصب التى رقدت وافترشت ١٤٤٩ فدانا.

خامسا: المناحى التى أتلفت ١٣٦ خلية افرنجى

فى المجال التعليمى:

أولا : تصدع (٢٨) مدرسة وتحتاج إلى اخلاء كلى وإحلال.

ثانيا : تصدع (١١) مدرسة وتحتاج إلى اخلاء جزئى.

(*) جميع البيانات والاحصاءات الواردة عن خسائر محافظة سوهاج مصدرها كل من :ديوان عام، وغرفة العمليات بمحافظة سوهاج، نوفمبر وديسمبر ١٩٩٤، ويناير ١٩٩٥م

ثالثا : تصدع (٩) معاهد أزهرية تحتاج إلى إخلاء جزئى وترميمات.

رابعا : تصدع (٣) معاهد أزهرية تحتاج إلى إخلاء كلى

القرى والنجوع المضارة من السيول:

جدول رقم (٢)

بيان بالمساجد التى أضيرت من السيول بمحافظة سوهاج

م	الوحدة المحلية	عدد المساجد	التكلفة التقديرية للضرر بالجنيه المصرى
١	سوهاج	٦	٣٩٣,٥٠٠
٢	المراغة	٣	١٥٥,٠٠٠
٣	طما	٣	٢٦٠,٠٠٠
٤	المنشاه	٣	٤٣٠,٠٠٠
٥	ساقلته	٣	١٩٥,٠٠٠
٦	طهطا	٣	٢٨٠,٠٠٠
٧	جهينة	١	٥٠,٠٠٠
٨	دار السلام	٢	١٢٥,٠٠٠
٩	أخميم	٥	٤٩٠,٠٠٠
	اجمالى	٢٩	٢,٢٧٨,٥٠٠

المنشآت الخدمية:

أ – إنهيار مبنى الوحدة الاجتماعية بقرية الجلاوية مركز ساقلته.

ب– إنهيار المبنى القديم للوحدة المحلية لقرية الجلاوية مركز ساقلته.

الخسائر فى الأرواح:

جدول (٣)

بيان بالخسائر فى أرواح البشر بالمحافظة

م	اسم المركز	عدد الوفيات	عدد الاصابات
١	المراغة	٥	٦
٢	طهطا	٩	٢
٣	دار السلام	–	١٣
٤	أخميم	٢	٢
٥	جهينة	١	١
٦	ساقلته	١	١
	إجمالى	١٨	٢٥

جدول (٤)

حالات النفوق فى الماشية

النوع	جاموس	أبقار	أغنام	ماعز	دواب	اجمالى
العدد	٢٩	٨	٢١٤	٢٧١	٥٦	٥٧٨

التبرعات التى وردت للمحافظة من الوزارات والهيئات والجهات الأخرى لمنكوبى السيول

أولا : التبرعات النقدية

مبلغ مليون جنيه وردت من وزارة الأوقاف.

مبلغ ٨٠٠٠٠ جنيه من صندوق الرعاية الاجتماعية بمجلس الشعب

مبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه من مجلس الشورى.

مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه من شركة الفتح للتجارة الدولية بالاسكندرية.

مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه من نقابة المهندسية الفرعية بسوهاج

مبلغ ١٠٠٠ جنيه من الأستاذ/ ابراهيم شكرى (حزب العمل)

مبلغ ٢٥٩٦٨,٧٠ جنيه تبرعات من أعضاء المجالس الشعبية والمحلية بسوهاج

مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه من الأستاذ /رشاد عثمان قاسم

مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه وردت من الحكومة البريطانية.

مبلغ ١٥٠٨٠٠ جنيه وردت من صندوق التأمين على الماشية.

مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه وردت من دار الافتاء

مبلغ ٢٩٩٣٩ جنيه وردت من الأستاذ / أحمد محمد عيسى

مبلغ ١٠٠٠ جنيه من كلية العلوم بسوهاج

ثانيا : التبرعات العينية

وردت للمحافظة معوات تحوى "أغذية – بطاطين – ملبوسات – مخيمات – أدوية – خزانات – مياه – أدوات مطبخ – بوتاجازات – منظفات – أدوات مدرسية" بالاضافة الى خمس وحدات سابقة التجهيز تم وضعها حول التجمعات. وقد تم توزيع جميع المعونات التى وردت الى المحافظة من الجهات الآتية:

- هيئة اليونسيف
- مديرية الشباب والرياضة بسوهاج
- الاتحاد التعاونى الاستهلاكى المركزى
- محافظة الاسماعيلية
- محافظة القاهرة
- شركة بريفابكو حجازى بالقاهرة
- وزارة الانتاج الحربى مصنع (١١٠)
- وزارة التموين
- شركة سوهاج الوطنية (سمولينا)
- مطرانية الأقباط الأرثوذكس بسوهاج
- حزب الوفد بمحافظة الغربية
- مصنع سكر جرجا
- الاتحاد التعاونى الانتاجى المركزى
- جمعية الهلال الأحمر بالمنيا
- محافظة بورسعيد
- اللجنة العامة للمساعدات الخيرية الأجنبية بوزارة التموين

بيان بالاعانات العاجلة التى تم صرفها:

الادارة	بطاطين	خيام	كستور	اعانة مالية عاجلة/جنيه
دار السلام	١٨٥٠	٨٥	٢٠٠ متر	٣٩٠٠٠
سوهاج	١٠٠	–	–	٥٠٠٠
أخميم	١٠٠	١٠	–	١٦٠٠٠
طهطا	٥٠٠	–	–	١٥٠٠٠
ساقلته	٥٠٠	–	–	١٠٠٠٠
طما	٤٨	–	–	٤٠٠٠
اجمالى	٣٤٩٨	٩٥	٢٠٠٠	٨٩٠٠٠

من كل ما سبق عرضه لبعض الخسائر التى تسببت فيها السيول التى اجتاحت محافظة سوهاج فى نوفمبر ١٩٩٤، بالإضافة الى مقدار التبرعات النقدية والعينية، والأخرى التى لم يعلن أصحابها عن أسمائهم ، والإعانات العاجلة، يتضح الى أى حد كانت خطورة الكارثة بالنسبة لأهالى المحافظة، والتى لم تترك الزرع، والضرع والجماد. الأمر الذى أراد معه الباحث أن يوضح جسامة وأهمية الدور الملقى على عاتق كافة التنظيمات الاجتماعية، الحكومية والأهلية باعتبارها أنساقا فرعية لها دورها الإيجابى تجاه مثل هذه الأزمات المفاجئة والتى تفرضها البيئة الطبيعية، والى أى حد كان التمازج ، والتكامل، والتساند بينها جميعا فى مصفوفة تنظيمية وظيفية فى تعاملها مع الكارثة.

نتائج البحث :

بعد ذلك آن للباحث أن يقدم نتائج بحثه ، وهى نتائج جاءت حصيلة للمحاور التى فرضتها ظروف البحث، والتى تناولت محكات أساسية لتبصير الباحث بالخصائص الاجتماعية لعينة البحث، وأهم المشكلات التى عانى منها أفراد العينة، ودور الأنساق

الاجتماعية تجاه هذه المشكلات، واتجاهات أفراد العينة نحو تلك الأنساق، وأخيرا تصور الباحث نحو وضح أفضل لدور هذه الأنساق مستقبلا فى تعاملها مع هذه الأزمات البيئية وما يشابهها، وفيما يلى أهم النتائج التى أسفرت عنها الدراسة الميدانية:

١- فيما يتعلق بالمهنة التى يزاولها أفراد العينة المضارة من السيول والتى تعتبر المصدر الرئيسى لدخل الأسرة يوضحها الجدول التالى:

جدول رقم (٥)

توزيع أفراد العينة حسب العمل المزاول

م	العمل	ك	٪
١	زراعة أرض تمليك	٦٩	٤٣
٢	بالأجر اليومى فى الزراعة	٢٧	١٧
٣	زراعة بالايجار	١٨	١١
٤	زراعة بالمشاركة	١٠	٦
٥	رعى غنم	١١	٧
٦	حرف يدوية		٦
٧	حفر ترع	٧	٤
٨	موظف	٧	٤
٩	بائع	٤	٢
	إجمالى	١٦٢	١٠٠

من هذا الجدول يتبين أن (٧٧٪) من أفراد العينة يعملون بالزراعة، وهى النشاط السائد بين أفراد العينة، حتى الذين يزاولون حرفا أخرى، كلها متصلة بالزراعة، وبالنسبة للذين يملكون أرضا ويتولون زراعتها بأنفسهم معظمها مساحات قزمية كما أوضح أفراد العينة ، تتراوح ما بين ٦ قراريط – ١,٥ فدان، مما يدل على سيادة

المستوى المعيشى المنخفض خاصة إذا ما ارتبط العمل المزاول مع عدد أفراد الأسرة والذى يوضحه الجدول رقم (٦).

٢- فيما يتعلق بأفراد الأسرة فقد أكدت الدراسة الميدانية كثرة عدد افراد جميع الأسر بدرجة لا تتناسب مع مصدر الدخل الشهرى . ويوضح ذلك الجدول رقم (٦):

جدول رقم (٦)

بيان بأعداد أفراد الأسر المضارة من السيول لعينة البحث

م	العدد	ك	٪
١	أقل من ٤ أفراد	١٢	٧
٢	من ٤ الى اقل من ٦ أفراد	٢٨	١٧
٣	من ٦ الى أقل من ٨ أفراد	٥٩	٣٦
٤	من ٨ الى أقل من ١٠ أفراد	٥١	٣٢
٥	أكثر من ١٠ أفراد	١٢	٨
	إجمالى	١٦٢	١٠٠

من الجدول رقم (٦) يتضح أن (٥١٪) من أفراد العينة يتراوح عدد أفراد اسرهم مابين (٨-١٠) أفراد وهذا عدد كبير اذا ما قورن بنوعية العمل الممارس والدخل الشهرى من جراء هذا العمل. وفيما يتعلق بأفراد العينة الذين يبلغ عدد أفراد اسرهم أكثر من عشرة أفراد، وعددهم (١٢) أسرة، يرجع ذلك الى زواج أرباب هذه الأسرة من زوجتين. ومن خلال أرقام الجدولين(٥)، (٦) يتضح انخفاض مستوى المعيشة، ويؤكد ذلك الجدول رقم (٧) والذى يوضح مادة بناء المسكن

٣- فيما يتعلق بمادة بناء المسكن يوضحه الجدول رقم (٧)

جدول رقم (٧)

مادة بناء المسكن لدى افراد العينة

م	العدد	ك	٪
١	طوب لبن	٦٩	٤٢
٢	دبش مع الطين	٢٤	١٥
٣	دبش مع الأسمنت	١١	٧
٤	طوب أحمر مع الطين	٣٦	٢٢
٥	طوب أحمر مع الأسمنت	٢٢	١٤
	إجمالى	١٦٢	١٠٠

من أرقام الجدول اتضح أن مادة البناء التى بنى بها معظم افراد العينة منازلهم والبالغ نسبتهم (٧٩٪) أى –حوالى أربعة أخماس العينة – يدخل فى تركيبها الطين، وكان ذلك من الأسباب التى ساعدت على انهيار المنازل بمجرد وصول الأمطار اليها وتخزينها بجانب الجدران.

٤– أكد جميع افراد العينة بأنهم لم يحصلوا على ترخيص بناء لمساكنهم، بل ولم يحضر الى أماكن اقامتهم أى مسئولمن أى جهة للاستفسار عن ماهية هذه المبانى أو كيف شيدوها؟ وبالتالى فقدت الناحية الهندسية والقانونية فى طريقة وأسلوب بنائها، بل ولم يكن لديهم أى دراية عن كلمة السيل أو خطورته، ولم يجدوا من ينبههم لذلك، مما يعكس اهمال الوحدات المحلية أى أن سوء التخطيط الاسكانى الذى نتج عنه بدافع الحاجة، السكن العشوائى، وما يكتنفه من ضعف فى البنيات الأساسية للخدمات، هذا بالاضافة الى عدم حيطة الأهالى نتيجة فقدان التوعية بالمخاطر المترتبة على السكن فى مواقع السيول، بل وعدم ادراك المسئولين بمختلف الأنساق الاجتماعية داخل محافظة سوهاج بأبجديات الحيطة من الأزمات البيئية خاصة السيول.

٥- أكد جميع أفراد العينة أنه لم تكن هناك أية حواجز ، أو جسور فى قراهم، أو أية وسائل أخرى تخفف من خطورة السيل، مما جعل الأمر سهلا أمام السيل فى اكتساح كل ما يقابله وهو منحدر بشدة فى المناطق المرتفعة.

٦- فيما يتعلق بمدى التاقلم مع الحياة فى معسكرات الايواء، أكد (٧٩٪) من أفراد العينة بأنهم غير متوافقين اجتماعيا معها بأى شكل من الأشكال، مما يشعرهم باحباط نفسى عنيف باستمرار لاحظه الباحث على وجوههم، بينما أوضح (٢١٪) من العينة أن هذا قدرهم، وعليهم الصبر، وتبين أن هذه النسبة - الأخيرة - أقل أفراد العينة تعرضا للخسارة الناتجة عن كارثة السيل.

٧- بالنسبة لطبيعة العلاقات الاجتماعية ومداها بين أفراد العينة داخل المعسكر، فقد شاهد الباحث اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية بين أكثر من (٧٥٪) من العينة، حيث يجلس الرجال سويا كل مجموعة حول أكبرهم سنا، ونفس الشئ بالنسبة للنساء، وهو أمر عكس ما كان يتوقعه الباحث.

وبسؤال الباحث لأكثر من فرد عن سبب تواجدهم سويا باستمرار فى المعسكر، وجلوسهم بدون عمل، عللوا ذلك قائلين العبارات الآتية:

١- علشان أى لجنة تيجى تلاجينا[٢] موجودين وناخذ حجنا[٢].

٢- بتوعه[٣] الهدايا يحضروا ويعطوا كل فرد بنفسه شخصيا.

٣- لوجه حد من المحافظة يشوفنا على حالنا ووضعنا.

٤- الغايب مالوش نايب ... الخ.

---

(٢) تجدنا (٢) حقنا (٣) أصحاب

فكأن الجلوس والحديث والسمر سويا، أمر حتمته طبيعة الحياة الجديدة للهروب من الضيق النفسى الذى ينتابهم لو جلسوا منفردين، وكذلك فهو تجمع مقصود للحصول على المعونات النقدية والعينية.

٨- فيما يتعلق بالمشاكل والأضرار التى يعانى منها افراد العينة نتيجة تعرضهم للسيول فقد صنفها الباحث حسب حدتها ودرجة معاناتهم منها، والتى بدورها كشفت عن مدى فاعلية المنظمات والتنظيمات الاجتماعية المختلفة باعتبارها أنساقا فرعية فى تعاملها مع الكارثة والمتضررين منها.

أولا : المشاكل الاقتصادية:

وأهمها ما يلى :

١- عدم وصول المساعدات الحكومية كاملة الى مستحقيها فى معظم الحالات، نتيجة لظهور عنصر مجاملة الأقارب والعصبية القبلية التى تشتهر بها مجتمعات صعيد مصر، وكشف عن ذلك (٨٦٪) من أفراد العينة.

٢- عدم توفر امكانيات لبناء مساكن جديدة، وأوضح ذلك (٩٥٪) من عينة البحث.

٣- التعويضات التى صرفت غير عادلة وليست مناسبة على الإطلاق، وأوضح ذلك (٩٦٪) من أفراد العينة.

٤- الفقر الشديد الذى يعانى منه (٩٢٪) من أفراد العينة.

٥- عدم القدرة على الذهاب للعمل للسعى الى الرزق للأسباب الآتية:

أ - فقدان الأرض التى كان يعمل بها وتحتاج الى مبالغ كبيرة لاصلاحها، هم فى الأصل لايمتلكون هذه المبالغ.

ب- فقدان المنزل.

جـ- فقدان الماشية والتى تعتبر رأس مالهم.

د - فقدان المحاصيل المنزرعة والمخزونة التى كانت أملهم طول العام.

هـ- ضمان ما يتحصلون عليه من الوفود القادمة إلى المعسكر ومعها الاعانات المختلفة ولابد من تواجدهم، حتى لاتضيع عليهم الفرصة.

و - نفوق معظم ممتلكاتهم من الماشية.

ز - إتلاف جميع أثاث المنزل.

ح- فقدان مدخراتهم من المال وبعض حلى الذهب التى كانوا يحتفظون بها بمنازلهم.

ثانيا : المشكلات الإدارية التنظيمية:

وأهمها ما يلى:

١- عدم استجابة المسئولين الى مطالب الأهالى.

٢- إنعدام ثقة المتضررين من السيول فى تصريحات الحكومة وجهودها ونواياها.

٣- إنعدام التنسيق بين مختلف الجهات التى تعاملت مع الكارثة، حيث كانت كل جهة تعمل منفردة (الهلال الأحمر، وزارة الشئون الاجتماعية، القوات المسلحة، مساعدات الأهالى.. الخ) وتتوهم أنها صاحبة الفضل فى حل المشكلة وقيامها بالدور الرئيسى فى التصدى لكارثة السيول، والأدهى من ذلك ما أكده أفراد العينة فى محاولة كل جهة التقليل من شأن الوحدات الأخرى، والدور الذى قامت به، لدرجة أن معظم الاعانات التى حصل عليها جميع افراد العينة تحددت فى (البطاطين الرصاصى) المستهلكة والتى لا تصلح للاستعمال الآدمى، وشاهدها الباحث فى جميع مخيمات المعسكر، ولم يشاهد بطانية واحدة جديدة أو من النوع الجيد الأمر الذى يؤكد انكار عدد كبير من المضارين للمعونات التى أعلنتها وسائل الاعلام المختلفة، خاصة وأن معظم المعونات التى ارسلتها الدول الصديقة محددة فى البطاطين الجيدة، والأدوية ، والأغذية ، مما يعكس وجود بعض الانحرافات عند بعض العاملين فى التنظيمات الاجتماعية المختلفة التى خالفت ضميرها مهنيا.

٤- افتقار المعسكر الى المرافق الأساسية التى تتناسب مع الحياة الآدمية والتجمعات السكانية، وبالتحديد دورات المياه، والحمامات، والاضاءة.

٥- ظهور السلوكيات المنحرفة عند بعض المتضررين حين حاولوا استغلال الموقف والاستفادة بغير حق من التعويضات المادية والعينية والاعانات العاجلة التى كانت تأتى الى المعسكر من حين لآخر، حيث شاهد الباحث بنفسه مجموعة احترفت ذلك ، خاصة بين السيدات اللائى أتين أكثر من مرة لكل جهة تأتى إليهم وتزاحمهن ، مما ساعد على ذلك هو تغطية وجوههن بالطرحة السوداء حسب تقاليد مجتمع البحث، بينما يوجد هناك بعض الأفراد أبت عليهم أنفسهم ذهابهم ومد أيديهم للآخرين - لأنها فى نظرهم مسألة كرامة - لأخذ نصيبهم وحقهم، بينما لايذهب البعض الآخر لأن صحته لا تساعده على الجرى والزحام، وهو المنذر الذى تعود أن يراه الباحث بمجرد دخول أى شخص غريب الى المعسكر، أضف الى ذلك انتشار حالة الفوضى أثناء توزيع المعونات ، حيث تدخلت فرق الأمن المركزى، وأخرى من القوات المسلحة ووزعت المعونات بطريقة عشوائية.

٦- شكوى أفراد العينة من تكرار توزيع البطاطين المستهلكة من كل جهة تأتى، هذا بالاضافة الى أن الأشياء العينية الأخرى كالملابس والأحذية كانت قديمة، وأدوات المطبخ مستهلكة، مما جعلهم يرفضونها فى كثير من الأحيان مصحوبة بامتعاض شديد، لدرجة أن أكثر من مبحوث قال للباحث تعبيرا عن استيائهم من تلك الأشياء العينية والتى ملأت جميع الصحف : " إحنا ولد ناس مش ولد كلاب" و " فضحونا فى الجرايد والتليفزيون " و " إحنا ولد أصول ولنا كرامة " ... الخ.

٧- شعور أكثر من (٧٠) من العينة باهانة كرامتهم خاصة حينما كان يأخذ أى فرد فى المعسكر وجبته الغذائية، أو الاعانات النقدية ويصر القادمون من الهيئات والتنظيمات الاجتماعية المختلفة على تصويره فوتوغرافيا وتلفزيونيا وهو يقوم بعملية عد الجنيهات التى أخذها ولابد أن يرضخ لتنفيذ هذا المطلب لأنه لايوجد بديل سواه !!!.

٨- شكوى أفراد العينة من قلة وصول الإعانات إليهم، وتنفيذ مطالبهم والاستماع الى شكواهم إلا فى حضور أحد المسئولين مع الزائرين، وفيما عدا ذلك ، فالحال كما هو عليه.

٩- تضرر (٢٨٪) م ن افراد العينة والذين يقيمون فى خيام فى نهاية المعسكر، حيث يكون الاهتمام كله والتركيز على الخيام الموجودة فى مدخل المعسكر، لأنها الواجهة المباشرة التى يدخلها كل مسئول ويتم تصويره فيها، ومن ثم يأخذون أكثر من حقهم، بل وبكميات كبيرة، الأمر الذى يترتب عليه وصول الفتات الى مخيمات نهاية المعسكر، حيث يكون المسئول قد أنهى زيارته وانصرف بعد دخول ما بين (٤٠- ٩٠) خيمة من المعسكر، وحيث الممرات ممهدة أمام مخيمات المقدمة.

١٠- نفس الشكوى من قلة المسئولين الى المعسكر والاكتفاء بزيارة المعسكرات القريبة من مبنى محافظة سوهاج ، وطرقها المسفلته، كالمعسكرات الموجودة فى أخميم (تبعد ٣ كم عن المحافظة) ، وساقلته (تبعد ٣٠ كم من سوهاج)، والمنشاه (٢٠ كم من سوهاج) .. الخ، أما معسكر نجع العزبة يبعد عن المحافظة بـ ٦٠ كم منهم ١٠ كم فى طريق ملئ بالمطبات والأتربة. مما يقلل من مقدار الاعانات لأفراد المعسكر لأن كل زيارة لأى مسئول يصحبها الخير لهم كما يقولون.

١١- انعدام وسائل النقل العامة من والى المعسكر، ووسيلة الانتقال هى سيارات النقل الصغيرة والدواب.

١٢- تضرر (٦٦٪) من أفراد العينة من الخسارة الكبيرة التى لحقت بهم اثناء حدوث السيل، حيث الظلام الدامس الذى احاط بهم أثناء محاصرة السيول لمنازلهم، حيث لم يتمكنوا من العثور على أماكن الأموال النقدية التى يحتفظون بها فى منازلهم، وبعض الحلى الذهبية الخاصة بنسائهم، بالاضافة الى فقدان شهادات ميلاد الأطفال، وعقود البيع الابتدائية الخاصة بممتلكاتهم بالاضافة الى عدم القدرة على حمل كميات الغلال والفول والعدس والذرة والترمس التى يحتفظون بها كخزين للاستهلاك المنزلى - رأس مالهم - بل ولم يجدوا من يعينهم وينقذهم فى اليوم التالى للسيول.

١٣- ضعف ثقة معظم أفراد العينة فيما يمكن أن تقدمه الأحزاب السياسية من خدمات أثناء الكارثة، لدرجة ثقتهم فى الجهود الفردية كانت أكبر بكثير من ثقتهم فى الجهود المؤسسية أو النظامية.

١٤- أكد (٨٧٪) من أفراد العينة أن أكثر من نصف الجهات التى قدمت اعانات لهم كانت للدعاية عن نفسها فقط، أى أنها اتخذت من تقديم الاعانات لمتضررى السيول وسيلة دعائية واعلانية عنها، أى اهتمامها بالشكل أكثر من المضمون(*).

ثالثا : المشكلات التعليمية :

كان لتصدع المدارس ، التى يتلقى أبناء أفراد العينة، تعليمهم فيها السبب المباشر فى اضطرار الأهالى الى سحب أبنائهم من التعليم نهائيا خاصة مرحلة التعليم الابتدائى، ووصلت نسبة هؤلاء الى (١٨٪) من أفراد العينة(♦) ، أما التعليم الإعدادى فقط اضطر الأهالى الى ارسال أبنائهم الى مدارس القرى المجاورة والتى تبعد حوالى ٣ كم عن القرية، وبالنسبة للتعليم الثانوى فقد ذهب الطلاب الى المدارس المتواجدة فى مدينة دار السلام، وبالنسبة للتعليم الجامعى لاتوجد مشكلة لديهم حيث يتلقى الطلاب تعليمهم فى الكليات المتواجدة فى سوهاج (الآداب – التربية – التجارة والعلوم).

رابعا : المشكلات الصحية :

كشفت الدراسة الميدانية عن مجموعة من المشاكل الصحية تعرض لها افراد العينة نتيجة تعرضهم لكارثة السيول من أهمها ما يلى:

(*) يقصد بالشكل هنا الدعاية وحركة سير سيارات النقل المعلق عليها من جهاتها الأربع لافتات من القماش مكتوب عليها بالخط العريض اسم الجهة المتبرعة واسم رئيسها، يرافقها الميكروفونات، وتصورها وسائل الاعلام المختلفة، أما المضمون فيعنى نوعية الاعانات التى كانت معظمها رديئة وقد استهلكها أصحابها قبل التبرع بها، أما الأشياء الجيدة هى تلك الواردة من الخارج والتى لم يرها أفراد العينة سوى مرة واحدة فقط، وهذا ما أكدة تحليل مضمون عبارات المبحوثين.

(♦) لايميل الأهالى الى تعليم أبنائهم، نسبة من لديهم أبناء فى مراحل التعليم (٥٦٪) فقط من أفراد العينة.

١- إصابة (٢٠٪) من أجمالى اسر العينة بالأنيميا بلغ عددهم حوالى (٢٨) فردا معظمهم من الأطفال(*).

٢- إصابة (١٤٪) من اجمالى اسر العينة بأمراض العيون والعمود الفقرى.

٣- إصابة (١٣٪) من اجمالى أسر العينة بلدغات العقارب والثعابين.

٤- إصابة (٨,٦٪) من اجمالى أسر العينة بأزمات قلبية.

٥- عدم توفر أنابيب الأكسجين ، أو أجهزة التنفس الصناعى داخل مركز الاسعاف الطبى بالمعسكرات للحالات التى اجتاحت لذلك من عينة البحث خاصة الحالات المصابة بمرض الربو الشعبى(١٤) فردا.

٦- عدم توفير الأمصال المضادة للدغات العقارب والثعابين داخل مركز الاسعاف الطبى بالمعسكر، نظرا لإصابة (١٦) فردا بلدغات العقارب والثعابين، وتتزايد احتمالات الاصابة بها نتيجة هروب تلك الثعابين والعقارب من الشقوق والجحور التى كانت بداخلها حينما غمرتها مياه السيول ومازالت شاردة تهدد المقيمين فى الخيام غير المحكمة.

٧- نتيجة لعدم احكام الخيام، فقد أصيب (١٣٢) فردا بأمراض الانفلونزا، والاسهال والمغص، نتيجة البرد الشديد الذى تعرض له هؤلاء الأفراد اثناء الليل خاصة فى شهور ديسمبر ويناير وفبراير وهى شهور البرد القارس ليلا فى صعيد مصر.

٨- البطء فى التعامل مع الحالات الصحية المرضية التى تستدعى سرعة العلاج، ويرجع ذلك لانعدام المقدرة على الاتصال المباشر بالأطباء المتخصصين، لعدم وجود وسيلة الاتصال سواء السلكية أو اللاسلكية.

٩- نقص الأدوية داخل مركز الاسعاف الطبى بالمعسكر.

(*) تقرير مركز الاسعاف الطبى في المعسكر.

خامسا : المشكلات الاجتماعية والنفسية:

١- إنعدام الخصوصية فى الحياة داخل المعسكر، خاصة لدى الرجل الصعيدى مما سبب له ألما نفسيا كبيرا وبصفة خاصة وقت قضاء الحاجة أو الاستحمام.

٢- إفتقار المخيمات الى وسائل النوم المريح، أو أدوات الطهى الضرورية والنظيفة، مع قلة المياه للاستخدام اليومى.

٣- غلاء أسعار أى شئ يشترونه داخل المعسكر.

٤- عدم كفاية الوجبات الغذائية التى تصرف لهم والتى يتولى اعدادها أفراد القوات المسلحة.

٥- عدم وضوح الرؤى أمام أفراد العينة، بل وفقدانهم الأمل نظرا لتباطؤ التنظيمات الاجتماعية المختلفة فى تنفيذ وعودها التى أعقبت حدوث الكارثة مباشرة، مما أدى الى شعورهم الدائم بالملل والاحباط، وتكوين فكرة ثابته فى أذهانهم مؤداها أن ماسمعوه من المسئولين أثناء وقوع الكارثة لم يخرج عن كونه مسكنا هادئا لآلامهم.

تعقيب على النتائج :

من خلال عرض أهم المشاكل، والأضرار التى لحقت بأفراد العينة، كان مرجعها انعدام التمازج والتكامل والتنسيق بين الأنساق الاجتماعية المختلفة وهى تتعامل مع الكارثة ويضرب الباحث مثالين فقط ليدلل بهما على تلك الحقيقة ، هما :

الأول : ما شاهده الباحث أكثر من مرة من تكرار توزيع البطاطين المستهلكة ذات اللون الرصاصى الغامق، والملابس الرثة، وبعض الأدوات المنزلية الردينة، خاصة أوانى الطهى والأكل.. الخ، ، فلو كان هناك أدنى تنسيق وتمازج بين تلك الأنساق الاجتماعية، كأن يعلن فى وسائل الإعلام المختلفة عن قيام هيئة، أو تنظيم معين ذى سمعة طيبة عن استلام مثل هذه الاعانات العينية فى مكان محدد ومعروف بمحافظة سوهاج، ويتم فرزها بدقة وسرعة، ويتم استبعاد الذى لايصلح للاستعمال الآدمى - وما أكثره - ويتم توزيع

المقبول منها على مسعكرات المحافظة وفق خطة محددة وحسب الاحتياجات الفعلية للمناطق المضارة.

ونظرا لأنعدام الثقة بين كل جهة وأخرى، فقد فضلت كل واحدة منها الذهاب مباشرة بها معها من تبرعات نقدية وعينية وتوزيعها بنفسها بطريقة عشوائية، حرم منها بعض المقيمين فى المعسكر الواحد بعد نفاذ الكمية المحمولة أو المبالغ النقدية.

الثانى : وهو ما يتعلق بكيفية التمكن من البناء، والسماح للأهالى بالمخالفة فى شروط البناء – غير الآمن – حيث تلقى الادارات المحلية المسئولية على جهاز الشرطة، والذى بدوره يحمل المشايخ ومجالس القرى المسئولية، ووزارة الإسكان تلقى اللوم على وزارة الرى والأشغال، والتى بدورها تلقى المسئولية على تطبيق وتنفيذ القانون بالمحاكم والثغرات التى به، بينما تتهرب جميع المنظمات الاجتماعية من المسئولية وتلقيها على الدفاع المدنى، والقوات المسلحة فى تقاعسها فى تنفيذ القيام بعمل مسح جوى بالطائرات الهليكوبتر لتصوير وتحديد المبانى المخالفة فى سفح الجبل بصفة دورية والابلاغ عنها فورا لاتخاذ الاجراءات ضدهم، وهؤلاء بدورهم يلقون بالمسئولية على وزارة الاعلام لعدم تنبيه الناس عن طريق وسائل الاعلام المختلفة عن مضار البناء فى مخرات السيول، وفى أحضان الجبال.. الخ(*)، ووقعت الكارثة كالعادة فى المجتمع المصرى.

ومن هنا كان لابد من وضع مجموعة من التوصيات ذات الفائدة العلمية تمهد للتعامل مع مثل هذه الكوارث مستقبلا.

(*) ظهر ذلك واضحا من خلال مقابلات الباحث مع ممثلى بعض الهيئات ، والادارات والمنظمات، والوحدات الحكومية والأهلية المختلفة، إبان وقوع كارثة السيول مباشرة ، داخل مخيم نجع العزبة والمخيمات الأخرى فى أكثر من مركز بمحافظة سوهاج.

التوصيات

من خلال ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية من نتائج، فالباحث يوصى بمجموعة اقتراحات لعل الأخذ بها أو بمعظمها يمكن من ردء خطر كارثة السيول وما يشابهها فى ظروفها، وأهمها ما يلى:

١- إن السيول كالنار، فكما أن للنار دورها الاقتصادى فى تقدم الشعوب، فإن عدم ترشيد استخدامها يؤدى لأن تصبح قوة تدميرية، والسيول كذلك يمكن تحويلها من قوة مدمرة الى قوة اقتصادية عن طريق ترشيد استخدامها، كإقامة سدود الإعاقة مثل الجابيونات، فى محاور الأودية العليا والتى تعوق حركة المياه، وتقلل من سرعتها، والاستفادة منها، وأهمها ما يلى:

أ - سدود الإعاقة : لحجز الطمى والرواسب والمياة خلفها والتى يمكن الاستفادة بها فى زراعة مساحات كبيرة بطريقة رى الحياض.

ب- سدود تخزين : وهى سدود ترابية أو ركامية تحجز المياه أمامها وبالتالى تقلل من شدة مياه السيول الجارفة.

جـ- جسور كنتورية : وهى جسور متعامدة على اتجاه سريان المياة (٧ : ص٧١) تحجز المياة أمامها، مع ضرورة تزويد هذه الجسور بمخارج للمياة حتى لا تنهار، وتفيد المياة التى تحجزها فى تغذية الخزانات الجوفية.

د - جسور التوجيه : تفيد فى تحويل المياة الجارفة بعيدا عن المنشآت والطرق ، والوصول بها الى المناطق التى يمكن الاستفادة منها.

هـ- تكثيف الغطاء النباتي : ويفضل تركيزه فى أحواض الأودية، حيث تعمل الأشجار على الإقلال من شدة اندفاع السيول، وبالتالى الحد من خطورتها، ويستفاد من هذا الغطاء النباتى فى الطاقة الرعوية.

و - إقامة بعض الخزانات الجوفية الصناعية : وتقام هذه الخزانات والتى تعرف بـ (الهرابات) على اسس علمية وبأطوال كبيرة لتجميع مياة السيول والاستفادة منها .

٢- ضرورة توفير المخزون الاحتياطى اللازم من المؤن الغذائية والخدمات الطبية وغيرها من الخدمات الضرورية فى ظروف الطوارئ .

٣- ضرورة توفير وتصنيف الخدمات الطبية التى يمكن تقديمها فى مجموعات وحسب الحاجة فى المناطق المتضررة من هذه الكوارث، وأن الهدف من هذا التصنيف هو تحديد الخدمة الطبية المناسبة وفقا لظروف كل حالة، وحدا للإزدحام فى بعض المواقع دون مطلب لذلك .

٤- دعم شبكات الرصد المعنية بالكوارث البيئية، بالمعدات الفنية والخبرات المهنية بما يمكن من تقدير وتحديد مؤشرات أكثر دقة لاحتمال وقوع حدوث الكارثة، وهذا يتطلب تحديد الأساليب المنظمة لعمليات الإنذار المبكر والتنبيه والتعبئة والجلاء من بعض المواقع ، وإعلام الرأى العام، أو توجيهه باتخاذ بعض التدابير الوقائية، وتنظيم المرور، وتجهيز سيارات ووسائل الإنقاذ .

٥- إتخاذ الاجراءات القانونية الرادعة التى تمنع وتحد من البناء فى المناطق المهددة بالسيول، أو المخالفة لشروط البناء .

٦- سرعة الإنتهاء من بناء المساكن البديلة التى وعد بها المسءولون للأسر المنكوبة .

٧- تدبير أماكن لتعليم الأبناء بما لايشكل عبئا جديدا على المنكوبين خاصة مرحلتى التعليم الابتدائى والاعدادى .

٨- أن تعمل الأجهزة الرسمية المعنية بمجابهة الأزمات والكوارث البيئية على استقطاب جهود المجموعات التطوعية، أو تجعلها امتدادا إيجابيا منسقا مع نشاطاتها، ويمكن الاستفادة من هذه المجموعات أثناء التعامل مع الكوارث فى النواحى الآتية :

أ - تعتبر حلقة وصل بين الأفراد والأجهزة الرسمية، ومن ثم فهى تساعد فى تقليل الفجوة بين الطرفين بل وتوصيل التوجيهات والالتزام بها .

ب- تقديم المعلومات الصحيحة للأجهزة الرسمية المعنية عن مدى الكارثة والاحتياجات الفعلية من الامدادات المطلوبة للمنطقة المضارة. وهذه المعلومات تمثل الجهاز العصبى لمواجهة الكوارث البيئيةة.

جـ- القيام بالأعمال ذات الطبيعة الاسعافية، ازالة الأنقاض ، توزيع الأغذية، نقل المصابين للعلاج، توزيع الملابس.. الخ.

٩- ضرورة توفير مراكز إسعاف أولية متقدمة طبيا ، معا سياراتها المجهزة طبيا والتى تتوافر فيها إمكانيات الخدمة الشاقة، على مسافات قصيرة تتناسب مع مدى توافر وسائل النقل السريع، على مسافات تتراوح ما بين ٤--١٠٠ كم.

١٠- الاهتمام بإقامة مراكز إغاثة متقدمة فى صعيد مصر تتبع القوات المسلحة، تسمح بالتصدى للكوارث الطبيعية فورا.

١١- ضرورة توافر وسائل إضاءة قوية، مصادر طاقتها متنقلة اثناء وقوع الكارثة، لأن قطع التيار الكهربائى عن المنطقة التى بها كهرباء أمر ضرورى للغاية خشية نتائجه المدمرة.

١٢- ضرورة وجود وسيلة اتصال لاسلكية متقدمة بين المنطقة المنكوبة وخارجها، لاتخاذ التدابير والتعامل مع الموقف بسرعة فائقة.

١٣- دفع التعويضات للأسر المنكوبة فى أقرب وقت من وقوع الكارثة وحسب الخسارة الفعلية، واعتبار ذلك من قبل المشروع كتأمين اجتماعى ضد اصابة العمل، وليس كما هو ماهد على سبيل المثال صرف (٥٠٠ جنيه) لكل أسرة، وأن يعمل حساب هذه المبالغ بصفة دائمة تحت بند صندوق الطوارئ ، لايصرف الا فى البند المخصص له، وتعمل الدولة على تنميته باستمرار لأن هذه الحالة المضارة من الكوارث هى أحق بالمبالغ المخصصة لها، فإن لم يكن من الناحية القانونية، فمن باب أولى من الناحية الانسانية.

١٤- يوصى الباحث بضرورة تدريس مادة علم ادارة الكوارث على طلاب الكليات والمعاهد والأقسام التى لها صلة بهذا العلم، حيث يفيد هذا العلم فى تنمية القدرات، ويعين فى الإفادة من الإمكانات لدرء أخطار الكوارث ما كان ذلك ممكنا ، وتأمين

التصرف الموضوعى الذى يتسم بتوافر وتكامل المعلومات، والبراعة والحنكة فى توظيفها لاتخاذ القرار المناسب الذى يخفف من حدة الكارثة، ويحقق الاستعداد لها ومجابهتها ، أو يمكن من إعادة التوازن بعد تجاوزها، إنه علم التحسب للمنتظر وغير المنتظر.

١٥- العمل على التوسع فى إقامة وحدات سكنية جديدة - طوارئ - تتوفر فيها تحقيق الخصوصية لأفراد الأسر المنكوبة ، تلك الخصوصية التى يعتبرها الرجل الصعيدى - بصفة خاصة - مسألة كرامة.

١٦- يوصى الباحث بانشاء نسق تنظيمى فعال يستطيع التعامل بكفاءة مع الأحداث المتصلة بالأزمات البيئية ، هذا النسق لابد أن تتوافر فيه الاتصالات الفعالة والمرونة التى تمكن من تشكيل الأنماط الادارية، وإعادة تشكيلها وفقا للظروف الشرطية المحددة للأزمة، ودرجة حدتها وآثارها التدميرية حتى يمكن التحكم فى مواجهتها عند حدوثها وتقليص أضرارها، هذا النسق لابد أن يتسم بمجموعة من الخصائص أهمها ما يلى:

أ - القدرة على تحقيق التكامل بين النشاطات المتعددة والمتنوعة التى تستوجبها طبيعة إدارة الأزمة البيئية.

ب- القدرة على تحديد الأسبقيات وتوجيه اهتمام المجموعات والأفراد نحو المشاكل الرئيسية، مع الافادة من التغذية الاسترجاعية التى تحمل ردود فعل العاملين تجاه أساليب معالجة تلك الأزمات والكوارث.

جـ- الكفاءة والفاعلية فى استقراء المستقبل بالقدر الذى يحقق الادراك المتكامل بطبيعة الأزمة، ويمكن من ساتكشاف كل البدائل الممكنة لدرء أخطارها، أو التخفيف منها والاعداد لمواجهتها عند حدوثها.

د - بناء وتنمية شبكة من الاتصالات الفعالة التى تؤمن توافر المعلومات الدقيقة والبيانات الصحيحة بالسرعة المطلوبة، وتعين فى تحديد أبعاد الأزمة البيئية ووضع المؤشرات لما سيترتب عليها من نتائج.

هـ- توفر وسائل المراقبة والاستجابات للمتغيرات الداخلية والخارجية.

و - حرية إتخاذ التدابير التى تزيل المعوقات الناتجة من الرؤية الذاتية لكل من المنظمات ذات العلاقة ، لأن هذه المعوقات تتسبب فى فقدان التناسق المطلوب.

ز - تفويض السلطة ، أى قدرة التنظيمات والأفراد التى تتعامل مباشرة مع الأزمة على إتخاذ القرار بشأن الخدمات التى يتم تقديمها، بحيث لايشترك الرجوع إلى المستويات الأعلى إلا فى أضيق الحدود.

ح - تبسيط الإجراءات الإدارية واختصارها الى أقصى حد ممكن، فالوقت وطبيعة المشكلات لا تسمح بتعدد النماذج، والتوقعات والإجراءات، وعنصر الوقت له تأثيره البالغ فى تحقيق الخدمة لأهدافها.

ط- تبنى سياسة الباب المفتوح، بمعنى أن يكون لأى فرد الحق فى الاتصال بكل المستويات الفنية والإدارية، فى أى وقت دون معوقات.

ى - الخدمة المستمرة ليلا ونهارا، فالأزمة لايمكن أن تحتمل النظر فى أمورها فى الصباح أو المساء فقط، أو لحين تواجد المسئول.

ك - العمل على تنمية العلاقات التبادلية، والعمل على تنسيق جهودها فى إطار منظومة موحدة مع النشاطات الرسمية، سواء ما كان منها على المستوى المركزى أو الادارات المحلية، وتحقيقا لذلك يوصى الباحث بتطبيق نظام المصفوفة التنظيمية**Matrix Organization** ، والذى يعتبر أفضل الأنساق التنظيمية لإدارة الأزمات، ويتضح ذلك من الشكل رقم (٢)(*).

(*) نقلا بتعديل عن : جون هـ. جاكسون وآخرون، نظرية التنظيم، منظور كلى للادارة ، ترجمة : خالدحسن زروق، المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العام، ١٩٨٨، ص ٣٢٥ .

شكل رقم (٢)

المصفوفة التنظيمية الوظيفية

وترجع توصيع الباحث بتطبيق نسق المصفوفة التنظيمية فى التعامل مع الأزمات البيئية، لأنه يحقق الآتى:

١- سرعة الاتصالات رأسيا وأفقيا.

٢- عدم الازدواجية فى الجهود.

٣- الكفاءة فى الآداء.

٤- تحقيق درجة عالية من التكامل والتمازج فى نظم المعلومات وشبكات الاتصال المفتوحة والفاعلة فى كل الاتجاهات.

٥- المرونة والقدرة على التكيف بسرعة مع المتغيرات الظرفية ، وإعادة تشكيله وفق المستجدات.

٦- يصلح فى الأحوال التى يصعب التنبؤ بها (١٤: ص١٤٧).

٧- تأكيد أهمية المنهج التكاملى فى إدارة كل السلسلة المتصلة بالأزمات البيئية.

٨- تأصيل المشاركة فى صنع القرارات الجماعية وتنفيذها وتقويم الآثار المترتبة عليها.

٩- تحقيق تبادل المعلومات والرأى.

١٠- تأمين الاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات.

١١- عدم تجزئة القضايا المتصلة بالأزمة إلى وحدات متعددة.

١٢- ضمان وجود فريق عمل بعيدا عن التعصب المهنى الضيق، هذا الفريق يتسم بالتلاحم وتكريس الجهد لمواجهة هذه الأزمات.

١٣- عدم الاكتفاء بالاعتماد على العلاقات الرسمية فقط.

١٤- تأمين استخدام عال للكفاءات والقدرات وفقا لطبيعة التحديات التى تبرزها خاصية الأزمة.

١٥- ان كل جانب من المصفوفة له اتصال مباشر بالمدير التنفيذى الأعلى.

١٦- تطبيق قدر كبير من اللامركزية.

١٧- القدرة على اعادة التوازن بعد انتهاء الأزمة.

والباحث يرى أنه لو أمكن تطبيق نسق المصفوفة التنظيمية فى التعامل مع مثل هذه الأزمات، وما يشابهها، ستحقق التنسيق بين الأنساق الاجتماعية المختلفة، بمعنى آخر لابد من تكوين الائتلاف بين المنظمات المختلفة تجاه الهدف التنظيمى المحدد، وهو التغلب على الأزمة، وهذا الإئتلاف الذى تنهمك فيه المنظمات الاجتماعية فى علاقات هيكلية، مثلما تنهمك فى تفاعلات رأسية مع المنظمات الأخرى ضرورى لفهم الأنساق المختلفة، والذى يتضمن المتغيرات البيئية العديدة ، ويتم الوصول الى المنفعة المتوقعة لإئتلاف معين بضرب منفعة كل نتيجة ممكنة فى احتمال نجاحها، وجمع الناتج وصولا الى كا الاحتمالات الممكنة، فالمنفعة المتوقعة للائتلاف (س) هى : (٤: ص١٥٠)

م ت أ = (ح ن /س) (م ن / س) – (ح ف / س) (م ف / س)

حيث أن : م ت أ = المنفعة المتوقعة للإئتلاف (س)

ح ن / س = احتمال نجاح الإئتلاف (س)

م ن / س = منفعة الإئتلاف (س) فى حالة نجاحه.

ح ف /س = (١ – ح ن /س) = احتمال فشل الإئتلاف (س)

م ف / س = المنفعة فى حالة فشل الإئتلاف (س)

وفائدة هذا الائتلاف تكمن فى تعظيم المنفعة المتوقعة ، والتى يتم تنفيذها بدقة عن طريق نسق المصفوفة التنظيمية التى تعمل من خلال الجهاز المنسق لعملها، والذى يوصى به الباحث (شكل رقم٣) . أطلق عليه اسم (ادارة التعامل مع الكوارث) تضم ممثلو الهيئات، والمنظمات المختلفة، والتى لها صلة فى تعاملها مع الأزمات والكوارث، ممن يتمتعون بالكفاءة والسمعة الطيبة، يمثلون الدوائر من ١: ١٧ – كما فى الشكل –(*) تتبع محافظ

(*) أرقام الدوائر من ١:١٧ تمثل المنظمات والهيئات الآتية : جهاز الشرطة، القوات المسلحة، الصحة، التموين، الإسكان، مؤسسات البحث العلمى، الأشغال والرى، الشئون الاجتماعية، الإعلام، المجالس المحلية، الأحزاب السياسية، الشركات والمصانع، جمعيات نقل البضائع، البرتول، رجال الأعمال، الشباب والرياضة، المواصلات، الدفاع المدنى ، الجمعيات التطوعية .. الخ.

الإقليم مباشرة من خلال خطوط اتصال صاعدة، وهابطة، وأفقية سريعة للغاية ، مهمة هذه الإدارة التصدى والتعامل مع جميع الأزمات والكوارث البيئية التى تحدث داخل المحافظة الواحدة ، أومعاونة المحافظات الأخرى.

خلاصة القول إن دور الأنساق فى مواجهة الأزمات البيئية قد تحدد بعدد من التساؤلات التى أجاب عليها أفراد العينة، وجاءت هذه النتائج باجابات شافية حول الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لأزمة السيول، كشفت عن بعدين أساسيين هما:

١- إدارة الدولة للأزمة، فى ضوء حتمية مهامها فى الحفاظ على أنساق المجتمع وبقائه.

٢- غياب وعى أجهزة الدولة بالخصائص الثقافية والاجتماعية للمتضررين من هذه الأزمة.

فبالنسبة للبعد الأول: تبين للباحث غياب البيانات الاحصائية الدقيقة لحجم الأزمة، مما تمخض عنه تعمية اعلامية لهذا الحجم، وهذه التعمية كانت مضللة للحقائق التى يعيشها المتضررون، هذا بالاضافة الى عدم توظيف بحوث الجامعات فى رصد الظواهر الطبيعية المتوقعة ، وبالتالى عدم وجود استراتيجية لتجنبها أو الوقاية منها.

وبالنسبة للبعد الثانى وهو : أن المتضررين من السيول على الرغم من وعيهم ، أو عدم وعيهم بمخاطر المكان، فهو مكان يرتبط بحياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما فرض عليهم وجودهم فيه، وإن كان عذرهم المقبول أن الدولة لم تكفل لهم البدائل التى تتمشى مع هذه الظروف الأيكولوجية والثقافية، والتى تمثل فى وجدانهم تاريخا بالمكان إلا أن ذلك لم يبرئهم من أن لهم دور لاينكر فى كل ما حدث.

ومهما يكن من أمر فإن مفهوم الأنساق الاجتماعية ليس سوى أداة تحليلية لفهم سلوك الناس فى الحياة الاجتماعية، وموقعهم من الحياة اليومية والأزمات العارضة

والدورية، فالمهم ليس الأنماط المثالية، بل الأهم هو أنماط السلوك والنشاطات الواقعية والمتوقعة.

إن الاتجاه البنائى الوظيفى الذى تبناه الباحث قصد به التحليل الاجتماعى للأزمة، على أساس أن الدراسة فى شموليتها للآثار الاجتماعية والاقتصادية، وإدارة الدولة، أى الادارة السياسية – هى التى تهيئ الوضع السليم لتفسير الظواهر الاجتماعية، فالظواهر المفردة كالسيول التى يمكن عزلها، لايمكن تفسيرها الا فى ضوء المعرفة الكاملة بتلك العلاقات الوظيفية التى تربط بينها وبين جوانب النسق، والبناء الاجتماعى الكلى.

ومن ثم فإن أى محاولات لمواجهة الأزمات، أو الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى يجب أن تقوم ايضا على أساس التقدير العلمى الكامل والشامل للجوانب المختلفة للموقف الاجتماعى. أى أنه أصبح من الضرورى أن تركز الدولة اهتمامها على تشخيص الأزمات الطبيعية وتستعد لانعكاساتها على المجتمع باعداد الحلول والبدائل.

شكل رقم (٣)

ادارة التعامل مع الكوارث

حصاد البحث:

وبعد ... هذه هى طبيعة الحياة داخل أحد معسكرات الإيواء للمتضررين من السيول التى تعرضت لها محافظة سوهاج فى نوفمبر ١٩٩٤ . وقد أثبتت نتائجها أن تعامل التنظيمات الاجتماعية باعتبارها أنساقا اجتماعية فرعية، مع هذه الكارثة كان إرتجاليا وعشوائيا، ولم يكن بينها سوى درجة ضعيفة من التمازم والتساند الوظيفى ، بل وليس هناك تنسيق واضح بين أجنحة الأجهزة الادارية المختلفة، وبالتالى فقدت النظرة المتكاملة التى تؤمن الحد الأدنى المطلوب فى استراتيجيات درء الأزمات البيئية، الأمر الذى بموجبه تلاشت البنائية الوظيفية بين تلك الأنساق فى تعاملها مع هذه الكارثة، سواء قبل أو أثناء حدوثها، أضف الى ذلك ضعفا فى البنيات الأساسية الحكومية القائمة على التخطيط والتنفيذ والتوعية والتوجيه، والذى نتج عنه عدم كفاية الخدمات التى قدمت الى المتضررين، بل وعدم التنوع فى نوعية تلك الخدمات، والذى معه شعر أفراد العينة بالدور الإيجابى للجهود التطوعية سواء للأفراد أو الجماعات بصورة أكبر من التنظيمات الرسمية، فى اللحظة التى أكد فيها افراد العينة على الدور الكبير الذى قامت به القوات المسلحة، بالإضافة الى الدور الإيجابى الذى قام به المجلس المحلى الشعبى لمحافظة سوهاج فى حدود امكانياته وتفاعلاته مع الأنساق الاجتماعية الأخرى.

إن إدارة الأزمات والكوارث البيئية تستوجب بطبيعتها معلومات عن جوانب متعددة وخبرات مهنية وفنية لا تتأتى لكيان تنظيمى واحد، ومن هنا فهى عملية جماعية تبنى على العمل الجماعى تتداخل فيه أدوار ونشاطات جميع الأنساق الاجتماعية، هذا العمل الجماعى لابد أن ينبع من منظومة متكاملة من التدابير والاجراءات لدرء أخطار الأزمات البيئية أو تخفيفها، وأن تشكيل هذه المنظومة واجب لايمكن أن تقوم به الدولة على المستوى المركزى وحدها، بل هو واجب ينبغى النهوض به على مستوى الادارات افقليمية ووحدات الحكم المحلى والمحافظات، أى لابد وأن تقوم مختلف الأنساق الاجتماعية بدورها المنوط بها تجاه

هذه الأزمات فى مصفوفة تنظيمية وظيفية، ويتم ذلك عن طريق الاستعدادات لهذه الأزمات من خلال اتخاذ الاجراءات التى تمنع الاستيطان فى بيئة الكارثة ، وبناء السدود والحواجز مع مواصفات فنية للبناء، والتوعية العامة بما يجب اتخاذه من تدابير للحيلولة دون وقوع الكارثة، ثم المجابهة معها بالشكل الذى يمكن التحكم فى المتغيرات المتسارعة المتصلة بالكارثة وتقليص أضرارها، بما تشمله من إجلاء المواطنين ، وانقاذهم، والتعبئة الشعبية والعون الغذاى والطبى٠٠ الخ، ثم إعادة التوازن للمنطقة المضارة الى وضعها الطبيعى وفقا لخطة قصيرة الأمد تشمل : المنازل المؤقته، إزالة الأنقاض، إعادة تسيير الخدمات الضرورية كالماء والكهرباء والمواصلات والخدمات الطبيعية ، وخطة طويلة الأمد لا تتعدى سته شهور تهدف الى اعادة البناء، وتوفير الدعم للمتضررين٠

بهذا يمكن الحد من الخسائر الفادحة والأضرار التى تسببها مثل تلك الكوارث والأزمات البيئية، وهو أمر يأمل الباحث عن طريقه دحض المقولة التى بدأ بها بحثه ومؤداها: ان غثاء السيل كان أشد ضررا من السيل نفسه، أو بمعنى أدق أن حماية إنسان من الغرق، أو ترشيد أخصائه ، افضل مائة مرة من شراء كفنه أو التكفل بأرامله٠

مراجع البحث

أولا : المراجع العربية :

١- أحمد الخشاب ، التفكير الاجتماعى ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية : القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠ .

٢- أحمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٨٤ .

٣- السيد عبد العاطى السيد ، ترشيد استخدام عناصر البيئة كأسلوب لرفع إنتاجية الإنسان المصرى ، رؤية أيكولوجية معاصرة ، بحث منشور فى ندوة "علم الاجتماع وقضايا الأمن والبيئة فى العالم العربى"، ج٢، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٥-١٧ فبراير ١٩٩٣ .

٤- جون هـ. جاكسون وآخرون، نظرية التنظيم، منظور كلى للإدارة ترجمة خالد حسنزروق، المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العامة، ١٩٨٨ .

٥- حسن ابشر الطيب، إدارة الكوارث، ط١ ، مسقط، ميدلايت المحدودة، ١٩٩٢ .

٦- رشاد أحمد عبد اللطيف ، الجهود التطوعية ودورها فى مواجهة مشكلات المتضررين من الكوارث، المؤتمر العلمى السادس ، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٩٢ .

٧- سامى نجيب ، كارثة السيول ، كتاب الأهرام الاقتصادى ، العدد ٨٢ ، ديسمبر ١٩٩٤ .

٨- سامية محمد جابر ، الآثار الاجتماعية للزلزال وعلاقته ببنية المجتمع مؤشرات عامة ، بحث منشور فى ندوة " علم الاجتماع وقضايا الأمن والبيئة فى العالم العربى " ، ج١ ، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٥-١٧ فبراير ١٩٩٣ .

٩- سمير نعيم أحمد. النظرية فى علم الاجتماع. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩ .

١٠- عبد الباسط عبد المعطى . البحث الاجتماعى . محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده . الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧ .

١١- عبد الباسط محمد حسن . اصول البحث الاجتماعى . ط٨ ، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٢ .

١٢- عبد النبى يوسف . العلاقة بين استخدام مدخل الأزمات فى حالات انهيار المنزل وأداء الأسرة لوظائفها الاجتماعية . رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٦ .

١٣- على ليلة . البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والأنثربولوجيا. القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٢ .

١٤- فؤاد الشيخ سالم وآخرون . المفاهيم الإدارية الحديثة . عمان مطبعة الصفدى. ١٩٨٥ .

١٥- محافظة سوهاج . مكتب المحافظ . احصاءات وتقارير عن المتضررين من سيول نوفمبر ١٩٩٤ ، غرفة العمليات.

١٦- محمد الجوهرى وعبد الله الخريجى . طرق البحث الاجتماعى . ط٥ ، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥ .

١٧- محمد عبد السميع عثمان . دور نسق التنظيمات الاجتماعية فى مواجهة الآثار الاجتماعية والتربوية المترتبة على الأزمات البيئية . دراسة سوسيوتربوية لزلزال أكتوبر ١٩٩٢ ، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر ، العدد ٤٦ سبتمبر ١٩٩٤ .

١٨- نيقولا تيماشيف . نظرية علم الاجتماع . طبعتها وتطورها . ترجمة محمود عودة وآخرون. ط٤ ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٧٧ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

19- A. Report of Multi - Donor Mission to Government of Sudan, Memeo October 17, 1988.

20- Bieber, Rebert M., "Clutch Management in A crisis," Risk Management, April, 1988.

21- Greene, K. B., "The Adaptive Organization: Anticipation and Management of Crisis", N. Y., John Willey & Sons, 1982.

22- I, P. Gerasimov, " Man, Society and the Environment." Progress publishers, Moscow, 1975.

23- Silverman David, "The Theory of Organization: A Sociological Framwork, London, Heineman, 1978.

كلية الآداب بسوهاج

رقم الخيمة	

دليل دراسة الحالة حول :

الأنساق الاجتماعية ودورها فى مواجهة الأزمات البيئية

دراسة حالة عينة من المتضررين من السيول بمحافظة سوهاج

د٠ محمد حامد يوسف يوسف

مدرس علم الاجتماع

بكلية الآداب بسوهاج

١٩٩٥

ملحوظة : البيانات الواردة سرية ولا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمى فقط

١- عمل المبحوث

٢- عدد افراد أسرته.

٣- مادة بناء المنزل المضار من السيول.

٤- إمكانية الحصول على ترخيص بالبناء لمسكن المبحوث.

٥- مدى وجود حواجز لحمايته من السيول.

٦- مدى التوافق الاجتماعى للمبحوث داخل معسكر الإيواء.

٧- طبيعة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين داخل المعسكر.

٨- أهم المشكلات التى واجهت المبحوث نتيجة تعرضه لكارثة السيول ، ودور الأنساق الاجتماعية تجاهها ، قبل، وأثناء وبعد هذه الأزمة.